

وفي مثل ذلك من الحيرة - أقرّ - ابن سينا بعد طول ما أجهد نفسه في فلسفته، وفخر الدين الرازي بعد ما أصال في تأملاته، بالعجز عن معرفة الموجد الواجب الوجود، بل أقرّا مع هذا بالعجز عن معرفة حقائق هذا الوجود، وأسفا أن صرفا حياتهما في غير طائل، ورجع كل منهما بعد طول السفر خاوي الوفاض، وقالوا: إنهما لو استقبلا من أمرهما ما استدبرا، لما صرفا حياتهما في شيء باطل، ووهم واهم. ما أعجز الإنسان، يجهل كل ما حوله، ثم هو يؤلف كل هذه الكتب التي لاعداد لها، ثم يفتخر بها، ولو أنصف لخل منها، وحرقت أكثرها، والأعجب من ذلك هذا الغرور الذي يستولى على بعضهم، فيزعم أنه العالم النحرير، والفيلسوف الكبير، أو يزعم أن عقيدته التي اعتقدها حق لا باطل فيها، وعقيدة غيره باطلة لا حق فيها، فما هذا الحق الذي يتباهون به، ويتعصبون له، ويملؤون الدنيا فخراً به، ويعيبون غيرهم بالصدعنه؟ كلا ليس في أيديهم حق بحث وليس يعلم الحق إلا الله، يعلم ما ظهر وما بطن، ويعلم السر والعلن. أما غيره فلا يعلم إلا سرايا بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.